السياســـــة اللغويـــــة
– المفهوم والآلية–

الأستاذ: بلال دربال
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب واللغات
جامعة باتنة– الجزائر

الملخص:

علم اللسانيات الاجتماعية نشأ في العصر الحديث، وكان من أهم اهتماماته ضبط القوانين التي تحكم حركة اللغة عند تفاعلها مع البنى الاجتماعية، وهذا بهدف استثمار ذلك عند رسم السياسات اللغوية، حتى تكون هذه السياسة اللغوية علمية وعملية. وهنا وجد علماء اللسانيات الاجتماعية أنفسهم أمام علم جديد له منهجه وموضوعه هو علم السياسة اللغوية.

اهتمام الدارسين باللغة كظاهرة كان مبكرا؛ إذ كثرت دراسات اللغويين والفلاسفة ورجال الدين، وظهرت بحوث حول اللغة عند علماء الطبيعة والفيزياء وغيرهما. وظلت إسهامات العلماء في البحوث اللغوية متواصلة حتى زامننا هذا، وخاصة ما كان منها يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع. ومن جديد هذه الدراسات ماعرف بـــ' السياسة اللغوية' ' Politique linguistique '.

فما علاقة السياسة باللغة؟ وهل في اللغة سياسة؟ ما مفهوم السياسة اللغوية؟ وما طبيعتها؟ وما هي الآليات التي تتحرك بها؟

لمعرفة مفهوم السياسة اللغوية؛ لا بد من الالتفات إلى الجانب اللغوي لمصطلحي ' السياسة' و' اللغة'، في المعاجم العربية والغربية، ثم اعتماد ذلك المدخل اللغوي منطلقا للتعريف الاصطلاحي.

1. التعريف اللغوي لمادتي:' السياسة' و' اللغة'.

أ–' السياسة': في المعاجم العربية مصدر ساس يسوس سياسة، ومادته في لسان العرب ' سَوَسَ'، والسياسةُ فعل السائس يقال هو يَسُوسُ الدوابَّ إذا قام عليها وراضَها، والسِّياسةُ

القيامُ على الشيء بما يُصلِحه، والوالي يَسُوسُ رَعِيَّتَه، وسَوَّسَ له أَمرًا أَي رَوَّضَه وذلَّلَــه[1]. قال' الزبيدي':" ومن المجاز(سُسْتُ الرعية سياسة) بالكسر(أمرتها ونهيتها)"[2]. وقال صاحب القاموس المحيط:" وفلانٌ مُجَرَبٌ قد ساسَ وسِيسَ عليه: أَدَّبَ وأُدِّبَ"[3].

فكأن **الإنسان بعد أن تمرس في سياسة الدواب، ارتقى إلى سياسة الناس،** وقيادتهم في تدبير أمورهم، فكان **المعنى الأول هو الأصل** الذي أُخِذت منه سياسة البشر بالمجاز.

أما المعاجم الغربية، فرجع مصطلح' السياسة' إلى مصطلح' بوليتيك' المشتقة من الكلمات اليونانية التالية[4]:

1– بوليس: البلدة، المدينة، المقاطعة، أو: أيضاً تجمع السكان الذين يؤلفون المدينة.

2– بوليتايا' Politeia': الدولة، الدستور، النظام السياسي، الجمهورية، المواطنية(بمعنى حقوق المواطنين).

3– بوليتيكا: جمع بوليتيكوس: الأمور السياسية، الأمور المدنية، كل ما يتعلق بالدولة، وبالدستور، وبالنظام السياسي، وبالسيادة.

4– بوليتيكية' Politike': العلم السياسي.

ب–' اللغة': جاء في لسان العرب:" **لغِى يلغَى إذا هذَى**«..» وفي الحديث" من قال في الجمعة: صه فقد **لغا**"« **أي تكلم**»"[5].

2. تعريف اصطلاحي لمادتي:' السياسة' و' اللغة'.

قبل التعرض لتعريف السياسة اللغوية في اللسانيات الاجتماعية؛ لا بد من التعرف على دلالات كل مصطلح عند أهل اختصاصه. فما تعريف' السياسة' و' اللغة' عند أهل الاختصاص؟ وما تعريف' السياسة اللغوية' في اصطلاح اللسانيات الاجتماعية؟

1– مصطلح' السياسة': السياسة عند' ابن سينا'(980– 1037م) هي حسن التدبير **الذاتي والجماعي** وإصلاح الفساد الذي هو طريق السعادة[6]، فهي إذا ليست حكرا على الملوك– وإن كانوا أحق الناس بإتقانها– بل لكل فرد من الرعية سياسة في جميع أموره، وحاجته إلى السياسة لا تقل عن حاجة الملوك للسياسية[7]. و' السياسة' عند ابن باديس:" هي تدبير شؤون المجتمع على قانون العدل والإحسان"[8]. ويعرفها المعجم الفلسفي بـــ" فرع من' العلم المدني' يبحث في أصول الحكم وتنظيم شؤون الدولة"[9].

أما السياسة عند الغربيين فتعريفاتها كثيرة، أوْرد كثيرًا منها' عبد الوهاب الكيالي' في موسوعته السياسية. ولعل **اختلاف تعريفاتها راجع لاختلاف الاتجاهات والرؤى**، حتى أن' ديزرائيلي" Disraeli'(1804– 1881م)– رئيس وزراء انجلترا آنذاك– يعرفها تعريفا لا يخلو من روح السخرية وملامح الصراحة فيقول:" إن السياسة هي فن حكم البشر عن طريق خداعهم"، وقال آخر إنها فن تأجيل تأزم المشكلات والمعضلات. لذا يبدو– بعد النظر في كثير من التعريفات– أن مفهوم السياسة يدق إلى درجة الغموض عن الإفهام؛ كما يبدو أن **المصطلح واجهة** تختبئ وراءها مصطلحات ومعاني أخرى، أهمها[10]:

1) **الإدارة** ومنها سياسة النقل وسياسة صناعة السيارات.. المراد إدارتهما.

2) **الاستراتيجية** التي هي إجمالا مجموع الخطط وآليات التنفيذ، ومن ذلك سياسة الحزب أو النقابة والمراد استراتيجيتهما.

3) كما يحمل مصطلح السياسة **قيمة تحقيرية** حين يوحي بالعمل المراوغ والمخادع – على حد قول' ديزرائيلي'– الذي يثير الاشمئزاز؛ فمن عبارات التحسر والإهانة" فلان سياسي يعاملنا بالسياسة". فكأن ممارستها فئوية خاصة بالموسومين بالدهاء، وأصبحت أداة تنفير من ممارسة بعض حقوق المواطنة. فخلَّف هذا لدى الدهماء من الناس شعورا بكراهيتها.

4) كما يحمل معنى **التفاوض والتوفيق** مثل سياسة المصالحة، سياسة حسن الجوار، سياسة التهدئة، سياسة التشاور بين الدول والسياسة المكوكية..

5) وتعني **الواقعية والرضا بالواقع** مع استحالة تغييره ومن ذلك قولهم سياسة الأمر الواقع وسياسة العد العكسي..

6) المنحى أو المنهج أو الموقف من مسألة معينة ومن ذلك سياسة فرق تسد وسياسة الاستهلاك.

نظريا هذه معاني السياسة؛ أما ميدانيا **فلا تسير السياسة كما يهوى أهل التنظير**، فالسياسة عند كثير من السياسيين يحكمها مبدأ واحد هو« الغاية تبرر الوسيلة» كما يزعم المؤلف والسياسي الإيطالي' ميكافيلي" Machiavelli'(1469– 1527م). لذا أصبحت كلمة السياسة مرادفة للدجل والكذب والتهريج، كما يؤكد' مالك بن نبي' ويسميها ' بوليتيكا' تمييزا لها عن السياسة المبنية على مبادئ علمية نظرية. يقول' مالك بن نبي':

" الصراع بين السياسة و' البولوتيك' قديم جدا وإذا أردنا أن نحددهما من الوجهة النفسية قلنا أن الأولى استبطان القيم بينما الثانية قذف مجرد للكلمات. والأولى محاولة تأمل في الصورة المثلى لخدمة الشعب، والثانية صرخات وحركات لمغالطة الشعب واستخدامه"[11].

2– مصطلح' اللغة': تعريفاتها لا حصر لها عند العرب والغربيين؛ ولكن الذي أكدته الدراسات أن كل التعريفات اللسانية الحديثة قد جمعها حد' ابنجني'(322هـــ– 392هـــ) وهي لا تختلف جوهرا عنه[12]. ففي خصائصه قال:" **أما حدها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم**"[13]. فأكد' ابن جني' صوتية اللغة ووظيفتها التواصلية في المجتمع، وهو ما تبعه فيه معظم علماء اللغة العربية كـــ' القاضي عبد الجبار'(ت 415هـــ). و' الفيروزبادي'(ت 729هـــ) و' السيوطي'(ت 911هـــ)[14]. ويعرفها' ابن خلدون'(ت 808هـــ) بأنها" عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم"[15]. وهو ما يكشف عن الوظيفة التواصلية؛ إذ يعتبر اللغة نظاما للتواصل المقصود فهي سلوك اجتماعي، كما يقرر أنها ملكة راسخة واستعداد فطري، ويشير أيضا إلى تعددية النظم اللغوية وطبيعتها العرفية[16].

هذه هي اللغة كما أُجملت ثم فُصِّلت في اللسانيات العربية؛ فهي ذات طبيعة صوتية، وظيفة تواصلية مقصودة أساسا، آلتها اللسان، أودعها الله في الفطرة وبالتدريب تستقر وتصبح ملَكة، هي متعددة، خاضعة للأوضاع الاجتماعية مؤثرة فيها متأثرة بها.

هذه المحاور وغيرها، هي التي لا يزال الغرب غالبا ينهكها بحثا فيصيب تارة ويخطئ أخرى. ولذا لا تكاد تعثر على تعريف جامع مانع للغة في علم اللسانيات الاجتماعية، إذ ما زال مفهوم اللغة بين أخذ ورد وبين توسيع وتضييق نظرا لبعدها الاجتماعي.

لقد أوردتُ كل هذه التفاصيل اللغوية والاصطلاحية لمصطلحي السياسة واللغة، لأن لها انعكاسات واضحة على مفهوم ورسم السياسة اللغوية عند علماء اللسانيات الاجتماعية.

وخلاصة القول إن **مصطلح' السياسة' تطور معناه** كما حدث لنظيره اليوناني ' بوليتيكا'. إلا أن **البحوث العربية في المصطلح كانت أكثر دقة وشمولية**؛ إذ بحثت في العلاقة العمودية بين الحاكم والمحكوم بكل دقة لتصل إلى أن أصلها هو التعاون لا

الصراع والمصلحة النخبوية، وبحثت في امتداد السياسة أفقيا لتنطلق من سياسة الرجل نفسه ودَخْله وحيوانه إلى أعلى مستويات السياسة المعروفة اليوم. كما بحثت السياسة الشرعية العربية في بُعد آخر مهم؛ وهو مركز قوة الحكم، فجعلته في الشرع[17] بينما جعله الغرب في الشعب.

كما تطور مفهوم السياسة من مفهوم **إدارة** ورعاية شؤون الدولة الداخلية والخارجية إلى **دراسة** شؤون الدولة من دستور ونظام، فلا غرو أن تكون السياسة فناً في شقها التطبيقي وعلما في شقها النظري. ثم **خرج استعمال مصطلح السياسة إلى مجالات أخرى غير الحكم** وشؤون الدولة، ولكنها استعمالات للسياسيين في أغلبها؛ كقولهم سياسة الدفاع، السياسة النفطية، السياسة الثقافية، السياسة اللغوية.. ومن الطريف أن تعريف ' أرسطو'(384– 322 ق م) للسياسة يعكس هيمنة السياسة على مجالات الحياة؛ حيث قال عنها:" هي علم السيادة وهي سيِّدة العلوم"[18]؛ فهي سيدة العلوم لأنها تطلق على أي عمل مبني على تخطيط مسبق، فيقال مثلا سياسة التنمية الاقتصادية ويراد تخطيط التنمية الاقتصادية[19]. ومثلها أيضا السياسة اللغوية.

ولا شك أن **علم السياسة في دراساته وتنظيراته يجني منافع جمة من الممارسات السياسية** على مر العصور، وهو ما رصده' ابنخلدون' باعتباره منظرا وممارسا للسياسة، وأكد أن **مباحث موضوع السياسة من مواضيع علم الاجتماع**، وهو ديدن السياسة اللغوية في الاستفادة من التجارب اللغوية للجماعات والدول.

3. السياسة اللغوية في اصطلاح اللسانيات الاجتماعية:

إن مصطلح' السياسة اللغوية' مركب وصفي بسيط* ترجم إلى العربية عن مركب أجنبي بسيط، فهو يقابل في الفرنسية' Politique Linguistique'، وفي الإنجليزية بـــ ' Language Policy'.

يعرفها' لويس جان كالفي" Louis-Jean Calvet' بقوله:" نحن نعتبر السياسة اللغوية هي مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية وبالتحديد بين اللغة والحياة في الوطن"[20].

ويمكن إجمالُ جملةٍ من الملاحظات على هذا التعريف:

1– السياسة اللغوية من خلال هذا التعريف عبارة عن اتخاذ قرار بشأن جملة من الخيارات المطروحة التي قد تكون قابلة للتنفيذ وقد لا تكون. وتبقى الأسئلة التي لا يجيب

عليها التعريف هي: من يتخذ قرار تنفيذ هذه الخيارات الواعية؟ ومن يفْصل في قابليتها للتنفيذ من عدمه؟ إذا كانت مؤسسة فما طبيعتها؟ وإذا كانوا أفرادا فما هويتهم؟

2- تتخذ القرارات بصورة واعية مقصودة لا عفوية ولا ارتجالية- إذْ هذا ليس من السياسة والتخطيط- وهو ما يوحي بطابع الإعداد المسبق لمسودة مشروع مدروس بطريقة علمية، وتبقى الأسئلة المطوحة حول هوية مُعِد هذا المشروع أو ما سماه التعريف بالخيار؟ فهل من يعد هو من ينفذ؟ ثم ما هي الأسس العلمية التي نحكم بها على مسودة المشروع أنها أعدت بطريقة علمية؟ وهو ما لا يجيب عليه التعريف أيضا.

3- يحصر التعريف موضوع السياسة اللغوية الأساس في علاقة اللغة بالحياة الاجتماعية وعلى وجه الخصوص علاقتها بالوطن. ويَبقى التعريف هنا مجملا دون تفصيل ولا تدقيق في طبيعة هذه العلاقة بين اللغة أو اللغات من جهة وبين الحياة الاجتماعية، هل هي علاقة تعايش أم صراع وتنافس؟ كما يُبقي التعريف العلاقة غامضة بين اللغة والسياسة.

4- السياسة اللغوية تقتضي توفر جملة من المنطلقات؛ أهمها:

أ- الجماعة اللغوية أو جماعات.

ب- اللغة أو اللغات.

جـــ- إرادة تنظيم علاقة- لافتة للانتباه- بين اللغة والحياة الاجتماعية؛ كإرادة إحياء لغة ما مثلا أو الرغبة في اعتماد أو تحييد أو عصرنة لغة أو لغات ما.

د- خيارات مدروسة دراسة علمية تهدف إلى تنظيم العلاقة بين اللغة أو اللغات والمجتمع.

هـــ- وجود سلطة ما تنظم الحياة داخل الوطن بما فيها تنظيم الوضعية اللغوية.

هذه الملاحظات وغيرها شكلت فعلا موضوع دراسات واسعة ومعمقة، ودارت حولها استبيانات واستقصاءات وإحصاءات عديدة، بغية التأصيل أكثر لهذا الوليد الجديد ' السياسة اللغوية'. لأن" هذا التصور لا يقدم أي استبصار فيما يخص الأساس الإيديولوجي أو البنوي لسياسة التخطيط اللغوي، ولا لعلاقتها بالسلطة والهيمنة، أو بدورها في الاستغلال والصراع"[21].

ولعل الضبابية التي يغرق فيها تعريف' كالفي' للسياسة اللغوية؛ تعود إلى حداثة هذا الفرع من اللسانيات الاجتماعية حديثة النشأة هي أيضا.

4. نشأة مصطلح" السياسة اللغوية":

لقد واكبت ظهور مصطلح السياسة اللغوية مصطلحات أخرى يشوش بعضها على بعض؛ على رأسها مصطلح' التخطيط اللغوي" Planifiquation Linguistique' الأكثر استعمالا اليوم، وإن لم يكن هذا المصطلح متداولا في الكتابات الأولى التي تناولت هذا النشاط، إذ كان مصطلح' الهندسة اللغوية" L'ingénierie Linguistique' أول مصطلح ورد في أدبيات الدراسات اللغوية الاجتماعية، عند الحديث على أنشطة المخططين اللغويين، حيث كان أكثر تكرارا من مصطلح' السياسة اللغوية'. ومن المصطلحات أيضا' التطور اللغوي' أو' التنمية اللغوية" Développement Linguistique' و' التنظيم اللغوي" Organisation Linguistique'[22]. كما كان استخدام مصطلح السياسة اللغوية أحيانا مرادفا لمصطلح التخطيط اللغوي و' التهيئة اللغوية" Aménagement Linguistique' في الكبيك، و' التقييس" Normalisation' في كاتالونيا[23].

5. علاقة السياسة اللغوية بعلم اللسانيات الاجتماعية.

تدخل الإنسان في الأوضاع اللغوية ليس بالسلوك الجديد؛ فمحاولات الناس قديما تقنين قوانين لاستعمالاتهم اللغوية محاولات لا تنكر. كما أن اختيار السلطة الحاكمة للغةٍ من بين لغات لتسيير دواليب الدولة أمر متكرر عبر التاريخ.

غير أن كل هذه التدخلات في حركة اللغة لم تكن مبنية على أسس نظرية وبحوث ميدانية تدرس وتُجِل علاقة اللغة بالمجتمع، خاصة إذا جاءت عبر قرارات سياسية. والسَّاسَة على قدر كبير من الذاتية. كما لم يقم بهذه التدخلات أهل اختصاص من اللسانيين الاجتماعيين[24].

فإرهاصات مثل هذه الدراسات التي تهتم برسم مناهج علمية للتدخل في إدارة تعدد لغوي ما، ما ظهرت إلا حديثا، ولعل' حلقة براغ' بدراستها لتقييس اللغة التشيكية بجدية وعلمية، كانت من الرواد في مجال السياسة اللغوية وتخطيطها. كما نجد' أنطوان ميي" Antoine Meillet' يدرس بجدية القوانين التي تحكم وضع اللغة في المجتمع متعدد اللغات، ووجَّه اللغويين نحو استكشاف هذه القوانين، ففي سنة 1906 رسم لهم المنهج قائلا:" إنه من الواجب أن نحدد مع أي بنية اجتماعية تتفق بنية لغوية معينة، كما

أنه من الواجب أن نحدد كيف تتمثل تغيرات البنية الاجتماعية، بطريقة عامة، في تغيرات في البنية اللغوية"[25]، ولذا ليس غريبا أن نجد' ميي' يتحدث عن أوربا اللغوية[26].

أما مصطلح التخطيط اللغوي فلم يظهر إلا على لسان' فانرش" Uriel Weinreich'. ولكن الذي أدخله أدبيات علم الاجتماع اللغوي من خلال كتاباته؛ هو الأمريكي' هوجن" Haugen'– المتخصص في اللسانيات الاجتماعية– سنة 1959 في مقالة خصصها للوضع اللغوي النرويجي، كما أضاف' فيشمان' عبارة' السياسة اللغوية' في كتيب نشره سنة 1970. فازداد بذلك الثنائي' السياسة/ التخطيط' شيوعا دون أن يعرَّفا بدقة. لأن ظهور المصطلحين كان في إطار عِلميْن كانا في طور النشأة، ولم يتفق العلماء حول تسميتهما آنذاك هما' علم اللغة التطبيقي" Linguistique Appliqué"•• و' اللغويات الاجتماعية" la SocioLinguistique"•••[27]. فكانت بهذا بحوث إدارة التعدد اللغوي فرعا من فروع السياسة اللغوية التي انضوت دراستها تحت هذين العلمية الجديدين.

إن البنيوية تشكلت من رفضها لكل ما هو اجتماعي في اللغة في حين يحتفل علم اللغة الاجتماعي بكل ما هو اجتماعي في اللغة. وهذان التياران تطورا بكيفية مستقلة عن بعضهما البعض[28].

فالجديد الذي استحدثته ستينيات القرن الماضي؛ هو الاهتمام الواسع والإدراك العميق بأن علم اللغة الاجتماعي قادر على كشف الكثير مما كان غامضا من طبيعة اللغة وطبيعة المجتمع[29]. ولما كانت السياسة اللغوية نشاطا صريحا يتجه نحو اللغة فإن دراسة السياسة والتخطيط اللغويين يقع في صميم مجال علم اللغة الاجتماعي كما يرى' فيشمان'، حتى أنه سمى التخطيطي اللغوي علم الاجتماع اللغوي التطبيقي[30]. بل إن' لويس جان كالفي' لاحظ أن تطور علم اللغة الاجتماعي ارتبط بتطور السياسة اللغوية، وأن اشتداد هذا العلم كان نتيجة الاهتمامات الأولى بالسياسة اللغوية[31].

6. آليات رسم السياسة اللغوية(كيف ترسم؟):

إن منهجية رسم سياسة لغوية لا تبتعد عن منهجية علم اللغة الاجتماعي، طالما أنها سليلة هذا العلم. يقول' ميشال زكريا':" إن التخطيط الألسني ككل تخطيط يتطلب دراسة الاحتياجات والأهداف والوسائل ووضع خطط العمل وتقييمها«..» لذا على المسؤول على التخطيط أن يُلم بقضايا اللغة في المجتمع قبل البدء بعمله، وأن يتحرى عن

المشاكل الألسنية، وأن يدرس العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والتربوية التي تتداخل مع المسألة اللغوية في المجتمع"[32].

فآلية رسم سياسة لغوية تكون بثلاث مراحل أساسية هي:

أولا: وصف الوضعية اللغوية الاجتماعية المراد التدخل في تسييرها وصفا علميا دقيقا، حتى تتحقق كفاية الوصف والتحليل. ولا يكون ذلك إلا بجرد المشاكل المطروحة المعيشة وتحليلها تحليلا لساني اجتماعي.

وبتأمل طريقة' كالفي' في رصد الظواهر اللغوية والآثار السياسية الاجتماعية المترتبة عليها، تجده يركز على عنصرين هما[33]:

أ– دراسة ميدانية يقوم بها تلاميذه، وتقوم هذه الدراسة على الملاحظة المباشرة وعلى الجمع والاستقصاء والاستبيان وإظهار النتائج في جداول وإحصائيات. كما تعتمد هذه الدراسة على انتقاء ميادين الدراسة، فركز' كالفي' على الأسواق لأنها أكثر الأماكن ملاءمة لدراسة التبادل اللغوي. ولقد كان يسمي هذه الدراسة بـــ" الدراسة في الجسم الحي".

فأدوات البحوث الميدانية تعتمد الملاحظة بأنواعها المختلفة، ودراسة الحالات، وعمليات المسح بالعينة أو المسح الشامل، وإجراء المقابلات وتحرير التقارير والاستعانة بأجهزة التسجيل المختلفة وأجهزة التصوير..[34].

يقترح' ميشال زكريا' خطوات لكيفية قياس حجم استعمال اللغة الفرنسية في لبنان، وهي خُطاطة يمكن اعتمادها. فيقول:

" أ– نتكلم اللغة الفرنسية(المدرسة، البيئة الاجتماعية، السياق، المستمعون، مواضيع المحادثة، مكان العمل..).

ب– نستمع إلى اللغة الفرنسية(دروس، راديو، تلفزيون، مسرح، سينيما، محاضرات، تسجيلات..).

جـــ– نقرأ باللغة الفرنسية(روايات، مجلات، صحف، دوريات..).

د– نكتب باللغة الفرنسية(تقارير، مقالات، مؤلفات، مذكرات، مرسلات شخصية، مراسلات عمل..)

هـــ– نختار اللغة الفرنسية كلغة ثانية(وظيفة اللغة الفرنسية، الانجذاب نحوها، الفرز الاقتصادي والمهني، طبيعة التعامل معها ودرجته، ردَّات فعل البيئة، الموقف منها، العوامل الأيديولوجية..).

و– نعمل في سبيل الإبقاء على وضع اللغة الفرنسية في لبنان(وهم الثنائية اللغوية ودرجتها، معرفة اللغة الثانية، التشجيع لتعلمها، المواد التربوية والتعليمية، البرامج المنظورة..)"[35].

ب– دراسة في مراكز صنع القرار وقيادة الأركان، أي دراسة مكتبية خارج الميدان لما تم جمعه من الميدان.

ثانيا: تحديد الأهداف الكبرى والمرحلية والتوجهات العامة، ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة النتائج المراد الوصول إليها. وهنا نجد' كالفي' يحاول أن يستفيد من تجارب لغوية معاصرة في مجال السياسة اللغوية؛ ليوسع من أهداف السياسة اللغوية والمشكلات التي تسعى إلى حلها لتشمل معالجة مشكلات اعترضت اللغة من قبيل التدخلات على متن اللغة كالتدخل مثلا في صورة اللغة بابتكار الكتابة، أو بتوليد المعجمي.. أو من قبيل التدخل على منزلة اللغة بالتدخلات على **وظائف اللغة ومنزلتها الاجتماعية وعلاقتها باللغات الأخرى.** فبهذه السياسة اللغوية يمكن تغيير المفردات وتوليد الكلمات الجديدة ومكافحة الاقتراض كما يمكن تغيير منزلة اللغة بترقيتها إلى مصاف اللغات الرسمية مثلا[36]. إن هذه هي أشهر المشكلات التي تستهدفها السياسات اللغوية عند رسمها، وهي التي يحاول ' ميشال زكريا' أن يجملها في الآتي:

" 1– وضع المقاييس للكتابة الصحيحة وللكلام الجيد.

2– ملاءمة اللغة كوسيلة تعبير للشعب الذي يستعملها.

3– قدرة اللغة على أن تكون أداة الإبداع الفكري والعلمي.

4– عدم القدرة على التفاهم بين المجتمعات اللغوية المتنوعة ضمن الدولة الواحدة.

5– اختيار لغة التعليم.

6– ترجمة الأعمال الأدبية.

7– اعتماد اللغة المناسبة للتبادل العلمي.

8– القيود الموضوعة على الاستعمال اللغوي في بعض المجتمعات.

9– التنافس بين اللهجات والارتقاء بلهجة إلى مرتبة اللغة الرسمية.

10- المحافظة على التوازن بين مصلحة الدولة ومصلحة الأفراد في المجال اللغوي"[37].

وبالتأمل في ما سبق يمكن أن نلاحظ أن السياسات اللغوية تهدف إلى العمل على أحد محورين هما: التأثير على اللغة أو التأثير على اللغات.

والتأثر على اللغة قد يمس الخط أو المعجم أو الأشكال اللهجية؛ فقد تلح الحاجة إلى ابتداع خط للغة غير مكتوبة أو تبسطه أبجديتها أو حتى تغييرها كلية. كما قد تلح الحاجة إلى ابتداع وحدات معجمية جديدة لسد الثغرات المفرداتية في مواجهة تطور مناحي الحياة السياسية والعلمية.. في ذات الحين قد ترتقي لهجة من بين اللهجات إلى مستوى اللغة الوطنية فتحتاج إلى تهذيب وتوحيد للاستعمال في كل التراب الوطني[38].

أما التأثير على اللغات فيكون بتنظيم التعدد اللغوي، واختيار لغة منه لأداء وظائف معينة[39]. فمثلا إذا هددت التغيرات الاجتماعية طبقة النخبة فهذا نذير بضرورة إيجاد سياسة لغوية، والحال نفسه إذا طالبت النخبة المضادة بهذه التغيرات. فطالما عملية رسم سياسة لغوية تسعى لإحداث تغيرات اجتماعية خاصة، فإن الحاجة إليها تصبح ملحة عندما يرغب المجتمع في تغيير وظائف اللغة. لذا على راسمي السياسة اللغوية أن يكونوا قادرين على تغيير تقييمهم للغة' أ' إلى اللغة' ب' قبل أن يقوموا بتغيير المجتمع[40].

رغم اختلاف الوضعيات اللغوية من بلد إلى آخر إلا أن العلماء حاولوا حصر أهداف رسم السياسات اللغوية، فوجدوها أحد ثلاثة أهداف رئيسة. يجملها' ميشال زكريا' في التالي[41]:

1- إزالة التعددية اللغوية والإبقاء على لغة واحدة تصبح هي اللغة القومية الرسمية. وهذا لا يتم إلا بالخطوات التالية:

أ- اختيار النموذج القياسي من هذه اللغات(مرحلة الاختيار والنمْذجة).

ب- صياغة شكل اللغة المراد ترقيتها.

جـ- النص على وظيفة اللغة بنصوص تشريعية(مرحلة التقنين وتوسيع الوظائف).

د- تقبل المجتمع لهذه اللغة(مرحلة المواضعة على النوعية)[42].

فكما يظهر فإن هذا الاتجاه هدفه هو دمج الأقليات الإثْنية في أتون ثقافة[43]• وطنية واحدة.

2- تبني التعددية اللغوية والاعتراف بها، وذلك بالمحافظة على اللغات الأساسية داخل الدولة وانتخاب لغة واحدة أو أكثر كلغة رسمية. فهذا الاتجاه يسعى لتحقيق تعايش الثقافات داخل الدولة الواحدة، وتكريس التنوع بدل التجانس والتغير بدل الثبات.

3– تبني لغتين رسميتين والاعتراف بهما، لأنهما تتوافقان مع التركيبة اللغوية الوطنية. فإقامة العدل في التعامل مع المجموعتين اللغويتين اللتين تتكون منهما الدولة هو هدف هذا الاتجاه.

فأهداف السياسات اللغوية كما يبدو ظاهريا هي حل المشاكل اللغوية البحتة، وهو ما يؤكد عليه' هوجن' بقوله:" تظهر الحاجة إلى التخطيط اللغوي كلما ظهرت مشاكل في اللغة. وعندما نلاحظ أن لغة ما لسبب ما صارت غير وافية بالغرض المطلوب، عندها يتفسح المجال أمام برنامج تخطيط لغوي"[44]. إلا أن الأمر ليس كذلك؛ فهو غير محصور في حل مشاكل قصور اللغة أو اللغات فقط، لأن هدف السياسة اللغوية ليس اللغة فحسب بل التأثر على السلوك اللغوي للأفراد، ومن هنا قد يوجَّه التخطيط اللغوي لتحقيق أهداف لا تتعلق باللغة[45]، فـ" **العلاقات بين اللغة(اللغات) والحياة الاجتماعية هي في ذات الوقت مشاكل هويات وثقافة واقتصاد وتنمية**« ..» وهكذا سيتم الوقوف على وجود سياسة لغوية للفرانكفونية والأنجلوفونية إلخ"[46].

ولعل أهداف السياسة اللغوية المعلنة والخفية تعبر عن قفزة نوعية للدراسات اللغوية؛ إذ تخطت معالجة قضايا الصيغة اللغوية(البنية) إلى معالجة قضايا ' المنزلة' statut'، وهذا التطور للدراسات اللغوية الاجتماعية هو تطور مواز لتطور الدراسات اللسانية عامة التي بدأت تميل إلى إعادة الاعتبار للجانب الاجتماعي للغة[47].

ثالثا: وضع الاستراتيجيات**** وتحديد الوسائل التي ستمكن من أجرأتها وتكفل تحقيق الأهداف وتنفيذ السياسة اللغوية.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك استراتيجيات فرنسا في سياساتها اللغوية العدوانية إبان احتلالها للجزائر، وتمثلت في الآتي:

1. الترسانة التشريعية والقوانين المُسَيّسة التي هدفها فرض واقع لغوي اجتماعي جديد.

2. ترسانة الموارد المالية(التمويل الموجه والمسيس) من خلال فرض غلاف مالي يضمن تميل هذا المشروع اللغوي.

3. إنشاء المؤسسات– المُسَيَّسة– التربوية والإعلامية والترفيهية والدينية، وعلى رأسها المنظمة الفرنكوفونية والكنائس..

4. التأثيرات النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وهو ما أدى إلى ظهور جماعة سميت بـــ" جماعة النخبة" التي تدين بالولاء لكل مظاهر الحياة الفرنسية. ولقد تذرعت فرنسا لأجل هذه التأثيرات بوسائل منها:

- استغلال الإعلام المضاد والموجه **لتكوين رأي عام ولو بالمغالطة،** فما زال كثير من أبناء جلدتنا– حتى يومنا هذا– يعتقدون أن فرنسا جاءتنا حاملة للواء الحضارة والتمدن والعدالة الاجتماعية ولا تزال.
- **تعزيز مركب النقص والانبهار بالمدنية الفرنسية عند الجزائريين.** من خلال سياسة غسل المِخاخ بتنظيم زيارات إلى فرنسا بالإغراء مرة والإكراه مرات، حتى نشأت نخبة ذات توجه فرانكفوني، تعتبر جماعة مارقة لغويا وفكريا عن المجتمع.
- **الاستعانة بالمرأة** في نشر الفرنسية بين الجزائريات تحت مظلة الجمعيات الخيرية وغيرها.

تسمى المرحلة الأولى عند' روبيير' بمستوى تقييم الوضعية، أما المرحلتين الأخيرتين فتمثلان مستوى السياسة اللغوية[48]، التي كما يبدو من خلال السياسة اللغوية الفرنسية إبان فترة الاستعمار ما هي إلا الوجه المدني لحرب اللغات كما يقول' كالفي'[49].

الخاتمة: إلى هنا يمكن أن تستنتج التالي:

1– السياسة اللغوية فرع من علم حديث هو علم اللسانيات الاجتماعية. ولها موضوعها ومنهجها.

2– لرسم السياسة اللغوية لا بد من المراحل التالية: وصف الوضعية اللغوية الاجتماعية المراد التدخل فيها. ثم تحديد أهداف هذه السياسة اللغوية. وأخيرا وضع الآليات والاستراتيجيات التي ستنفذ بها هذه السياسة اللغوية.

3– السياسة اللغوية هي الوجه المدني المتحضر لحرب اللغات، وهذه الأخيرة ما هي إلا غطاء يخفي الحرب الثقافية والاقتصادية والسياسية التي تدار خلف الستار في الكواليس.

الهوامش:

1– ينظر ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، ط1، د ت، ج1، ص 2149– 2150.

2– الزبيدي: تاج العروس، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 1306هـــ، ج4، ص 169.

3- الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص 551.

4- خلف الجراد:" علم السياسة ومقدّماته اليونانية"، مجلة الفكر السياسي، العدد 31، السنة العاشرة صيف 2007، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص 24.

5- ينظر ابن منظور: لسان العرب، مادة" لغا"، ص 4050. وينظر ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، دط، 1957، ج1، ص 33.

6- ينظر علي عباس مراد: دولة الشريعة- قراءة في جدلية الدين والسياسة عند ابن سينا-، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 57.

7- ينظر المرجع نفسه، ص 54- 58. وجاء في صفحة 17 أن أحد رسائله في السياسة عنونها بـــ" تدبير المنازل" جاء فيها حديث عن سياسة الرجل نفسه، سياسة الرجل دخله وخَرجه، سياسة الرجل أهله، سياسة الرجل ولده، سياسة الرجل خدمه، أي أن علم السياسة عند ابن سينا هو **علم تقويم**؛ تقويم نفس واحدة وهو ما سماه بالأخلاق، وتقويم نفوس كثيرة وسماه تدبير المنازل، أو تقويم نفوس كثيرة تشتمل عليها مدينة واحدة وسماه تدبير المدينة، والتقويم يكون بالتدبير المدني والصناعة الشارعة[يقصد الشرعية] معا.

8- عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان: إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص 78. نقلا عن علي علواش: حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية، رسالة غير منشورة، ص 255. نقلا عن الشهاب، ج5، م5، جوان 1929.

9- مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة، مصر، دط، 1983، ص 99.

10- عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى، بيروت، دط، دت، ج3، ص 362- 397. من بين ما جاء في تعريفات السياسة أنها فن ممارسة القيادة والحكم، وهي أيضا النشاط الاجتماعي الفريد من نوعه الذي ينظم الحياة العامة ويضمن الأمن ويقيم التوازن والوفاق- من خلال القوة الشرعية والسيادة- بين الأفراد والجماعات المتنافسة والمتصارعة في وحدة الحكم المستقلة على أساس

علاقات القوة والذي يحدد أوجه المشاركة في السلطة بنسبة الإسهام والأهمية في تحقيق الحفاظ على النظام الاجتماعي وسير المجتمع، وهي في تعريف آخر علم دراسة المصالح المتضاربة وانعكاسها على تكوين السلطة والحفاظ على امتيازات الطبقة الحاكمة.

11- مالك بن نبي: بين التيه والرشاد، دار الفكر، دمشق، دط، 1985، ص 85.

12- ينظر أحمد شامية: في اللغة، دار البلاغ للنشر، ط1، 2002، ص 11.

13- ابن جني: الخصائص، ج1، ص 33.

14- ينظر نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009، ص 3.

15- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، دط، دت، ص 603.

16- ينظر نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 4.

17- ينظر مصطفى ديب البغا: نظام الإسلام في العقيدة والأخلاق والتشريع، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص 274.

18- عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج3، ص 373.

19- ينظر خلف الجراد:" علم السياسة ومقدماته اليونانية"، ص 16.

* هو وصفي لأنه غير إضافي مثل" علم السياسة" وهو بسيط لأنه غير موسع مثل" علم السياسة اللغوية". ينظر سلطان ناصر المجيول: نقل مصطلحات اللسانيات الاجتماعية إلى العربية في النصف الثاني من القرن العشرين،" رسالة ماجستير"، معهد اللغة العربية، الجامعة الملك سعود، إشراف محي الدين عثمان محسب، نوقشت سنة 1427هـ، عدد الصفحات 392، نشرت سنة 2006، ص 251- 255.

20- Louis- Jean Calvet: La Guerre des Langues et les politiques linguistiques, Hachette Littératures, France, 1999, p154- 155.

وينظر لويس جان كالفي: علم الاجتماع اللغوي، ترجمة محمد يحياتن، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2006، ص 111.

21- جيمس و. طوليفصون: السياسة اللغوية خلفياتها ومقاصدها، ترجمة محمد الخطابي، مؤسسة العنى، الرباط، المغرب، ط1، 2007، ص 25.

22– ينظر روبرت ل كوبر: التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي، ترجمة خليفة أبو بكر الأسود، إصدار مجلس الثقافة العام، ليبيا، دط، 2006، ص 67.

23– ينظر لويس جان كالفي: السياسات اللغوية، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص 11.

24– ينظر كالفي: السياسات اللغوية، ص 26.

25– محمود السعران: اللغة والمجتمع، دار المعارف، مصر، ط2، 1963، ص 62.

26– ينظر كالفي: السياسات اللغوية، ص 13.

•• يسمى أيضا اللسانيات التطبيقية، ظهر المصطلح سنة 1946، وأصبح فرعا من فروع اللسانيات العامة إلى أن انشق عنها وأصبح قسيما لها منذ حوالي ثلاثين عاما، فهو في حقيقته علم يستثمر نتائج علوم أخرى ذات صلة ما باللغة.. ويستغل هذه العلوم في **حل مشكلات اللغة** التي تواجهها **في ميادين غير لغوية** كميدان تعلُّم اللغة الأولى والثانية وتعليمها وإدارة التعدد اللغوي والتخطيط اللغوي وعلاج اضطرابات الكلام والترجمة وإعداد المعاجم وأنظمة الكتابة.. فتفرع هذا العلم إلى عديدة علوم(علم اللغة التعليمي، علم اللغة الاجتماعي، علم اللغة النفسي..). ينظر محمد فتيح: في علم اللغة التطبيقي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1989، ص 12– 15. وينظر عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، دط، 1995، ص 2– 9. وينظر صالح لعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومه، الجزائر، ط3، دت، ص 11– 19.

••• **أغلب المصادر اتفقت على أن المقابل العربي لمصطلح" Sociolinguistique" هو" علم اللغة الاجتماعي"**، يرى' فيشمان' أن اللسانيات الاجتماعية تختبر التفاعل بين مظهرين من مظاهر السلوك الإنساني هما: **استعمال اللغة والترتيب الاجتماعي للسلوك..** فهدف اللسانيات الاجتماعية إذا هو البحث عن التنوع التلازمي للظاهرة اللغوية الاجتماعية، لأن التنوع تنوعان؛ تنوع لغوي وآخر اجتماعي وبينهما تنوع ملازم قد يمس الشكل أو المحتوى أو هما معا. ينظر سلطان ناصر المجيول: نقل مصطلحات اللسانيات الاجتماعية إلى العربية، ص 66. ينظر كوبر: التخطيط اللغوي، ص 91. وينظر
Jean Dubois et autres: Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse, Paris, edition 2, 1999, P 435- 436.

27– ينظر Calvet: La Guerre des Langues, p 154 et 158.
وينظر كوبر: التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي، ص 68.
28– ينظر عبد الحميد دباش:" اللغويات الاجتماعية"، مجلة الأثر، العدد 3، ماي 2004، مجلة الآداب واللغات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، الجزائر، ص 14.
29– ينظر هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد، عالم الكتب، مصر، ط2، 1990، ص 12.
30– ينظر كوبر: التخطيطي اللغوي والتغيير الاجتماعي، ص 91.
31– ينظر كالفي: السياسات اللغوية، ص 31.
32– ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1993، ص 13، وينظر أحمد بوكوس: الأمازيغية والسياسة اللغوية والثقافية بالمغرب، مركز طارق بن زياد، الرباط، ط1، 2003، ص 20.
33– ينظر Calvet: La Guerre des Langues, 2eme Partie« Le champ de bataille», 3eme Partie« Dans les étas-majors». P 79 et P 153.
34– ينظر عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، دط، 1995، ص 184.
35– ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، ص 45.
36– ينظر كالفي: السياسات اللغوية، ص 23.
37– ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، ص 11.
38– ينظر كالفي: علم الاجتماع اللغوي، ص 112– 117.
39– ينظر La Guerre des Langues: Calvet, p156- 157.
40– ينظر كوبر: التخطيطي اللغوي والتغيير الاجتماعي، ص 219– 220.
41– ينظر ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، ص 16.
42– ينظر المرجع نفسه، ص 16. وينظر هدسون:علم اللغة الاجتماعي، ص 55– 57.
• الثقافة في آخر تعريفاتها العلمية الشاملة المقرة في المؤتمر العالمي لوزراء الثقافة بمكسيكو سنة 1982 هي:".. جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه، وفئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات، وأن الثقافة هي التي

تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، والتي تجعل منا كائنات تتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي..". ينظر فرنسا والأطروحة البربرية: أحمد بن نعمان، ط2، دار الأمة، الجزائر، 1997، ص 136.

44– كوبر: التخطيطي اللغوي والتغيير الاجتماعي، ص 75.

45– ينظر المرجع نفسه، ص 77.

46– كالفي: السياسات اللغوية، ص 14.

47– المرجع نفسه، ص 22.

•••• جمع استراتيجية، وهي" علم وفن وضع الخطط العامة المدروسة بعناية والمصممصة بشكل متلاحق ومتفاعل ومنسق لاستخدام الموارد(مختلف أشكال الثروة والقوة) لتحقيق الأهداف الكبرى. شاع استخدام المصطلح في العقود الأخيرة وهو من أصل يوناني ويعني فن الأشياء أو الخطط العامة"، عن عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج1، ص 169.

48– ينظر دباش عبد الحميد: محاضرات في مقياس التهيئة اللغوية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية 2008/ 2009.

49– ينظر Calvet: La Guerre des Langues, p 283.